سلسلة

كليلة ودمنة للأطفال

الجرذ والسنور

بقلم أ/ محمد محمد العبد

رسوم وإخراج/هشام حسين

الناشر

دار الصحابة بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

شارع المديرية - امام محطة بنزين التعاون ت/٣٣٣١٥٨٧ تليفاكس/٣١٢٢٧١ ص.ب ٤٧٧

977 - 272 - 687 - 4/ I.S.B.N

الطبعة الأولى ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ

موقعنا على الأنترنت : WWW.DSAHABA.COM

81



قصَّة: الجُرَذِ [1] والسنوْر [2].

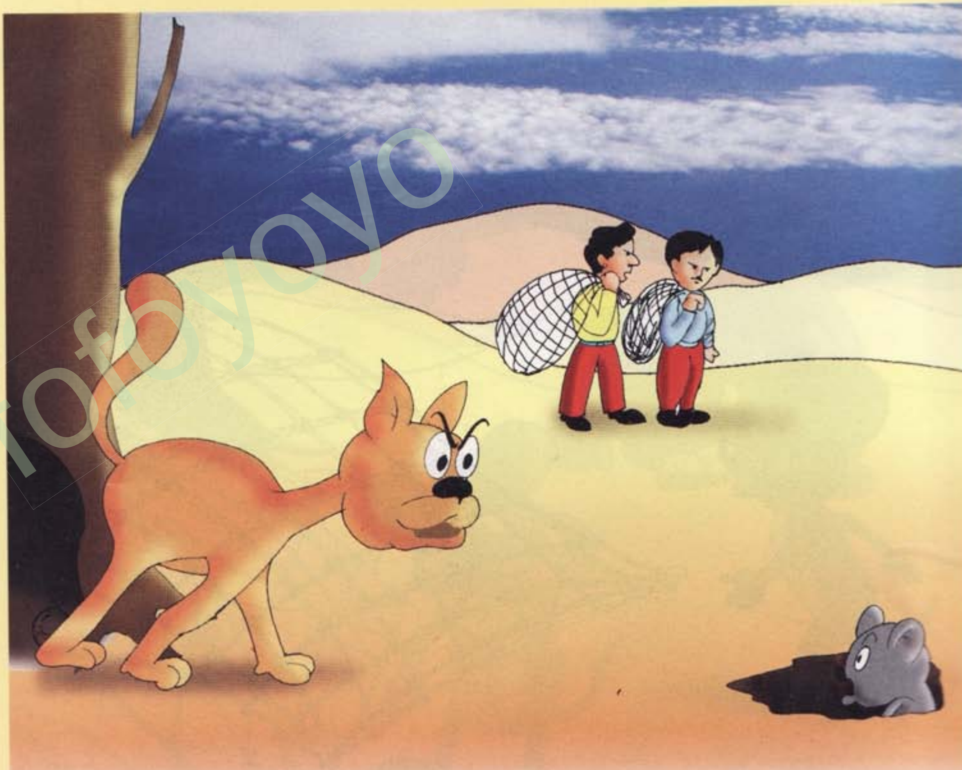
يُحكى أنَّ شجرةً عظيمةً كانَ في أصْلِها جحرُ سِنَّوْر يقالُ له (رُومِي) وبالقُربِ منه جُحرُ جُرذٍ، أطلقوا عليه (فريدون).

- وكانتْ العَداوةُ بينَهما مُسْتحكمةٌ، والكراهيةُ متناهيةٌ شأنُهما في ذلك شأنُ الجيرانِ، الَّذين يشتدُّ التنازعُ بينهم، ويكثرُ التخاصمُ بيْن أفْرادِهم.

---

(١) الجُرَذ: الكبير من الفئران، والجمع جُرْذان.

(٢) السِّنَّوْر: حيوان أليف، من الفصيلة السِّنورية، ورتبة اللَّواحم. «القطة».

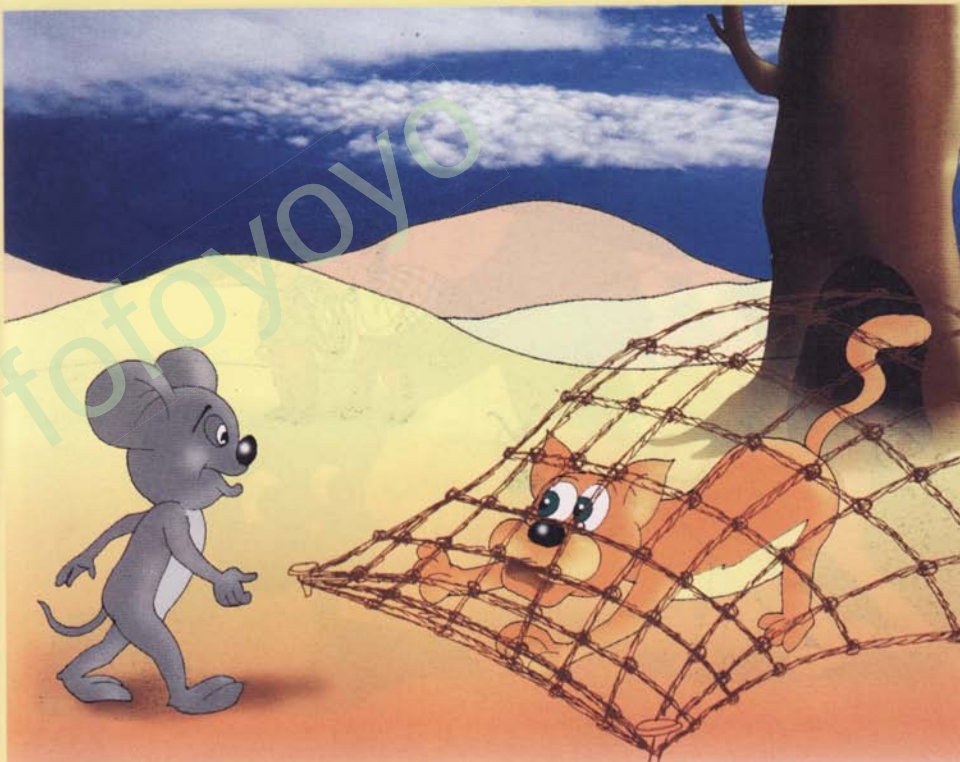


ـ ويرجعُ هذا العَداءُ، بيْن السِّنورِ والجُرذِ إلى طَبيعة كُلٍّ منهما، فالسِّنورُ مِنْ أكلةِ اللُّحوم، وأشْهَى الأطْعمةِ عنده، وألذُّها مذاقاً، هُو لحمُ الفأرِ.

أمَّا الجُرذُ فيعيشُ ـ دائماً ـ على قرضِ ما يصادِفُه مِنْ أشياء، لذا كانَ كلٌّ منهما يُراقبُ الآخر،

ـ كانَ الجرذُ إذا خرج لطلبِ رزْقِه، يَخشَى أنْ يراهُ السِّنورُ فَيفتكَ به، فكان دائمِ الحذَرِ منه. والسِّنْورِ يتطلعُ إلى أنْ يحظى بالجُرذِ، فيجعلَ من لحمِه وجبْة شهيةً، تجنبُه عَناءَ البحثْ عَنِ الغذاء.

ـ ناسياً بذلَك حُرْمةَ الجارِ، وحقَّه في أنْ يعيشَ في أمانٍ واطْمئنانٍ.



«والجارِ ذى القُرْبى، والجارِ الجُنُبِ، والصَّاحبِ بالجَنْبِ..»(١)

«ما زَالَ جبريلُ يُوصينى بالجارِ حتى ظننتُ أنَّه سيورِّثه»(٢)

ـ كانَ المكانُ الَّذى يجمعُ جُحْرَىْ: الجُرذِ والسِّنَّورِ عُرْضةً للأخطارِ، محفوفا بالمكارهِ، فقدْ عرفه الصَّيادون، وأكثروا مِنْ المجيءِ إليه، والتردُّدِ عليه فى سبيلِ السَّعْيِ وراءَ الصَّيدِ، الَّذى هُوَ مصدرُ رزقِهم، وعمادُ حياتِهم.

ـ فلم يكنْ يمضى يومٌ دون أنْ ينصبوا فيه شِباكَهم لعلَّهم يحظون بصيدٍ يُكافئُ جُهْدَهم، ويتناسبُ معَ مشقّتِهم وعنائِهم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦. (٢) حديث شريف.



- وفى ذاتِ يومٍ نصبوا شباكهم، فخرجَ السِّنورُ مِنْ جُحره - كعادته وشاءَ القدر أنْ يقعَ فى تلك الشِّباكِ، فَحاولَ الخلاصَ، ولكِنْ دون جدْوى [١].

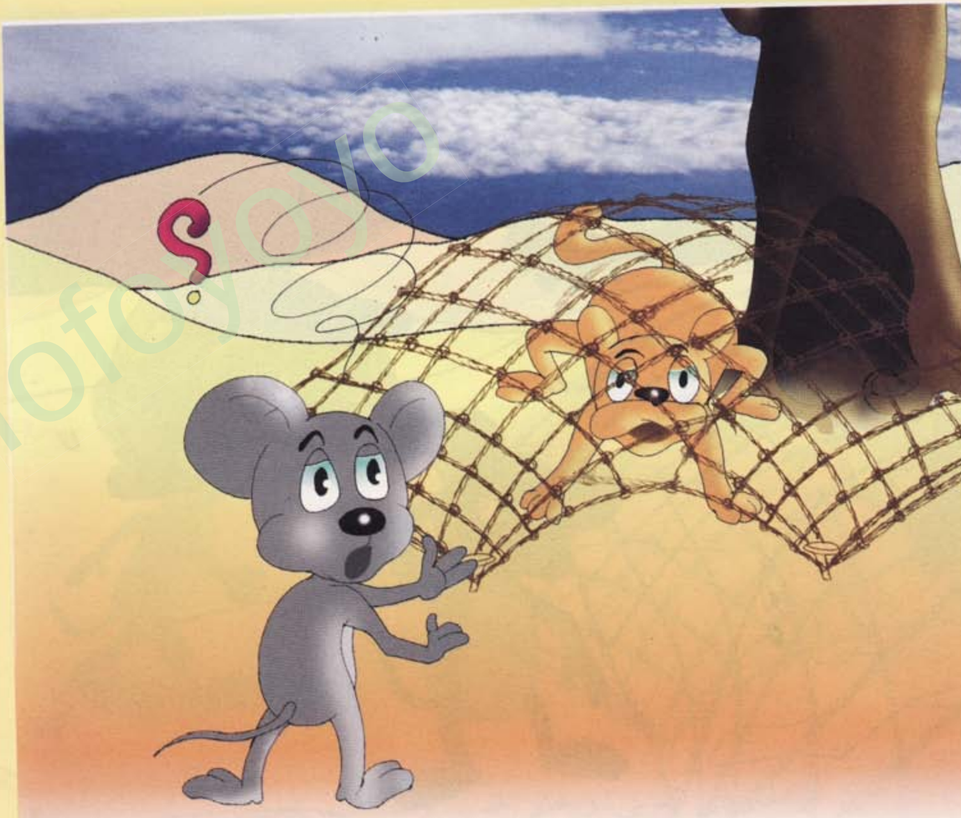
- وبينما كان الجُرذُ هُوَ الآخرُ يتأهَّبُ [١] للخروجِ سعْياً وراءَ الرِّزْقِ، نظر أمامه فوجدَ جارَهُ السِّنْورَ فى ورْطته فلمْ يلتفتْ إليه، ولمْ يهتم بشأنه.

- همَّ الجُرذُ أنْ يترُكَ السِّنورَ، ويذْهبَ لشأنه ولكنَّ الكريمَ إذا وجدَ عدوَّه الذى أساءَ إليه، قدْ نزلتْ به كارثةٌ، لمْ يستطعْ الخلاصَ منها، دعته

---

(١) جدوى: فائدة.

(١) يتأهب: يستعد.



طبيعتُه الخيِّرةُ، أنْ يلتمسَ[٢] له مخرجاً.

فالكريمُ إنَّما يُنسيه قليلُ الإحْسانِ، الكثيرَ منَ الإساءة.

- فوقف الجُرذُ قريباً من الشبَّاكِ، وقدْ راودته فكرةُ إنقاذِ جارهِ ممَّا وقع فيه، وخطر له أنَّ الجارَ لهُ حقٌّ على جارهِ، من رعايته والمحافظة عليه وتأمينه، والدِّفاعِ عنُه، مهْما كانتْ الخلافات

- ثُمَّ التفت الجُرذُ، فرأَى خلْفَه ابنَ[١] عرْس، وفى الشَّجرَة بُوماً، يترقبه لينقضَّ عليه، ويختطفه.

---

(٢) يلتمس: يطلب



فوقفَ الجُرذُ متحيِّراً، لا يدْرى أيْنَ يذْهبُ، أو أىَّ طَريق يسلُك؟

- إنَّ الموقفَ يدْعو للدَّهشةِ والحيْرة، لقد اجتمعَ عليه ثلاثةُ أعْداء، فى آن واحد، فسُدَّتْ أمامه المنافذُ، وأظْلمت الدُّنيا أمام عيْنيه، وأيْقن أنَّه إنْ قصَّرَ فى تخلِيص جَارِه السِّنوْرِ، من الشباكِ، فحياتُه هو الآخرُ عُرضةٌ للمخاطِرِ التى لا خلاصَ له منها.

- ولكنْ أىُّ مخاطِرَ هذه التى قدْ أحاطتْ به؟

إنَّ الجُرذَ إذا رجعَ إلى الخلفِ، اختطفَه ابن عرْس، وإذا تقدَّمَ أمامه

---

(١) ابن عرس: دويبة كالفأرة، تفتك بالدجاج ونحوه، والجمع: بناتُ عرس.



افترسه السِّنورُ، وإنْ ذهبَ يميناً أو شِمالاً انقضَّ عليه البُومُ الَّذى كانَ يرقبُه أعْلى الشجَرة.

ـ إذَنْ فليسَ أمامَ الجُرذِ سِوى أنْ يُخلِّصَ جارَه السِّنَّور ممَّا وقع فيه. فربَّما حفظ السِّنَّورُ له هذا المعروف فيكونَ عوْناً له على عدوَّيه: ابْنِ عرسٍ، والبوم، وبذلك يكونُ قدْ أمِنَ شرَّ السِّنورِ، وضَمِنَ فِرارَ ابْنِ عرسٍ، والبُومِ مِنَ هذا المكانِ.

ـ ذهبَ الجُرذُ إلى السِّنورِ، ونظرَ إليه فوجده فى حالة من الإعْياءِ والفزعِ والخوفِ، فاستنجدَ به السِّنورُ، ووعدَه خيراً، إذا أطلقَ سراحه



وخلَّصه ممَّا هُو فيه.

ـ **قالَ الجُرذُ**: سوْفَ أجتهدُ في تخليصك، قبلَ أنْ يجيء الصَّيادُ إلى شباكه، ثُمَّ قامَ بقرضِ الشبَّاكِ وتركَ خيطا واحداً، أحسَّ السَّنورُ بأنَّ الجُرذَ تباطأ في استكمالِ مُهمته، فقالَ له:

ـ ما لي أراكَ قدْ قرضْت الشبَّاكَ، ولكنِّي ألاحظُ عليكَ الإهمالَ في قرضِ الخيط الأخيرَ؟ وهذا ما جعلَني أشكُّ في أمْرك، وها هُو الصَّيادُ قد اقترَبَ منَّا.

قال الجرذُ: إن العاقل إذا أراد أن يتعاطف مع عدُوِّه، ليخلِّصَه منْ ضُرٍّ أصابه، فإنَّه يرَى أنَّ منَ الحيْطةِ والفطْنة ألاَّ يُنسيه التعاطفُ، أنْ يشترطَ لنفسه الأمانَ.



- فإذا أنتَ أمنّتنى على نَفْسِى، وأشعرتَنِى الاطمئنانَ على سلامتى، أنهيتُ مهمّتى، وقرضتُ آخرَ حبالِك.

- ثُمَّ إنَّ السِّنّوْرَ أعطاهُ الأمَانَ، فقال الجُرذُ:

إنَّا وإنْ كُنَّا مُخْتلفيْن طِباعاً، إلاَّ أنَّنا متحدان حالةً.

- ومثلى ومثلُك تجمعُهم الحالةُ، وإنْ فرَّقتْهم الطِّباعُ، ولما رأى ابنُ عرْس والبُومُ اقترابَ الجُرذ من السِّنورِ، انقطع رجاؤُهما فى الحصُول على الجُرذِ. والانْفراد به، فانصرفَ كُلُّ منهما، وقدْ ضَاعَ أمله وخابَ سعيُه.

- نظرَ السِّنّوْرُ فوجدَ أنَّ الصَّيادَ يقْتربُ مِنَ المكانِ شيئاً فشيئاً، فاستغاثَ بالجرذِ أنْ يُسرعَ فى قطْعِ حبَائلهِ.



ـ ومَا أن استكملَ الجُرذُ مُهمَّته، حتى قفزَ السِّنْورُ إلى الشجرةِ، فدهشَ الصَّيادُ، ولجأ الجُرذُ إلى جحْره فاختْفى فيه.

ـ أمَّا الصَّيادُ فقد نظرَ إلى شِباكه، فوجدَها ممزَّقةً، ولمْ يحصُلْ على غايته، ولم تتحقَّق له مُهمتُه، فظهرتْ عليه علاماتُ الحسْرةِ، وبدتْ عليه أماراتُ الكآبةِ، واكتفَى بجمْعِ شباكهِ، وانْصرفَ مِنْ حيثُ أتَى.

ـ ثُمَّ إنَّ السِّنْورَ بعْد أنْ نجا بحيَاته، واطْمأنَّ على نفسْه، طلبَ من الجُرذِ أنْ يقْتربَ منه، ليجزْيَه على معْروفهِ، ويُكافِئه على صَنيعه، مؤكِّداً



للجرذ أنَّه مَدينٌ له بحياته، مُعترِفٌ بجميله وإحْسانه.

- ثُمَّ إنَّ السنورَ أخذَ يُغْرى الجُرذَ، ويستْميلهُ لإقامةِ علاقة أخَوِيَّة بينه وبينه، خالية من المكائد صافية من الخيانة والغدْرِ.

- لم يستسْلم الجُرذُ لكَلامِ السَّنورِ، ولمْ تجذبْه تلك المُغرَيات التى عرضَها عليه، والأمنيات التى وعدهُ بها، وقال: رُبَّ صَداقةٍ ظاهرةٍ، تحملُ فى جَوانبها عَداوةً خفيَّةً.

فإن الصداقة التى تخفى العداوة أشد من العدو الذى يظهر عداءه.



ـ فواجبُ الصَّديقِ أنْ يحترسَ منها، فإنّه إنْ أهملَ ذَلك، كانَ كمن يصارعُ الثَّورَ الهائجَ، ذا القرونِ القويَّةِ، فيكونُ في ذلك نهايته.

ـ قال السَّنورُ:

ظننتُ أنَّ ما مرَّ بنا من أحْداث، وما أحاط بنَا من ظُروف، قدْ أنساكَ ما بيننا من عَداوة قديمةٍ، وأحقادَ ذهبتْ معَ الأيَّامِ.

ـ قالَ الجُرذُ: إنَّ الصَّديقَ إنَّما تُطلقُ عليه هَذه الصِّفةُ، لمَا يُنتظرُ من صدقه، وما يُعلَّقُ عليه من الأمَلِ في نفعه، والعدوَّ يُسمَّى عدوًّا، لمَا



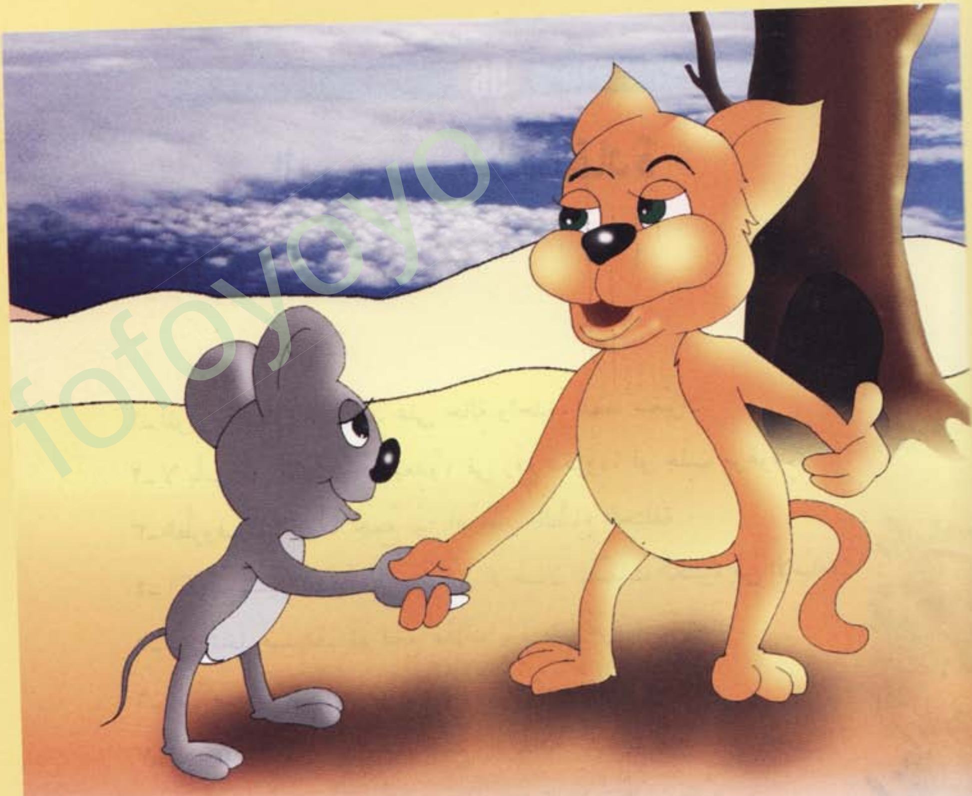
يُترقبُ مِنْ عُدْوانهِ، وما يُخْشى منْ غدْرهِ.

ـ وإنَّ العاقل إذا اضْطرته ظُروفُ الأيَّامِ، وأحداثُ الزَّمانِ إلى عقْدِ صَداقة بيْنه وبيْن عدُوِّه، فعليهِ أنْ لا يتمادى فى صداقتِه، فإنَّه لا يأمن غدْرَ عدوِّه وخيانته.

ـ قالَ السِّنورُ:

كنتُ أطمعُ فى أنْ أُقيمَ بينى وبينْك، صداقةً لا تمحُوها الأيَّامُ، ولا يقْضِى عليها أحْداثُ الزَّمان، قالَ الجرذُ: إنَّ تجديدَ الصَّداقة بيْن الصَّديقِ وصديقه لا تُخشى عواقبُها [1]، لأنَّ أساسها الإخلاصُ والمحبَّةُ، أمَّا بين

(١)عواقبها: نتائجها.



الصَّديقِ وعدوه، فلا يُؤمنُ جانبُها، لأنها نابعةٌ مِنْ الغَدْرِ والخيانَةِ

- فالأُولى: بطيئةُ التَّغيير، أمَّا الأخرى: فما أسرعَ تبديلها، وانْدلاعَ (٢) شرِّها.

- ثُمَّ قال الجُرذُ:

إنَّ كُلَّ ما أطمعُ فيه، مِنْ مُكافآتِك لي، على ما قدمتُ مِنْ معروفٍ، أنْ يدومَ بيننا الوُدُّ على البُعد، وأرجُو لك البقاءَ والسَّلامة، فإنَّه لا سبيل إلى اجْتماعنا، والسَّلامُ.

(٢) اندلاع: المراد: الظهور فجأة.

الدروس المستفادة

١ـ المودَّة والعداوةُ لا تَثْبتانِ على حالة واحدة، فهما مُتغيِّرانِ.

٢ـ لا بأس منَ الاستْنجادِ بالعدوِّ، فى رفْعِ مكروهٍ، أو جلْبِ مرغوبٍ.

٣ـ الظُّروف المتشابهةُ، تجمعُ بيْنَ أصْحابِ الطِّباع المختلفة.

٤ـ الكريمْ تُنسيه الصِّفةُ الواحدةُ من الإحْسانِ الصِّفاتِ الكثيرةَ من الإساءة.

٥ـ منْ اتخذَ صديقاً، ثُمَّ قطعَ علاقتَه به، فقدْ حُرِمَ ثمرةَ إخائه.

٦ـ رُبَّ صَداقة ظاهرة، فى باطنها عَداوةٌ كامنةٌ خفيةٌ.

٧ـ مُصادقةُ العَدوِّ عند رجاء النَّفعِ، ومعاداةُ الصَّديقِ عند توقُّعِ الضرِّ.

٨ ـ الصَّديقُ المُخلصُ إذ زالَ عنه نفعُ صَديقه لا يَخْشَى جانبهُ.

٩ـ العدوُّ إذا عقَد صَداقةً، فهى صَداقةٌ طارئةٌ، يتوقَّعُ منها الشَّرُّ.

١٠ ـ العَاقلُ يفِى بوعْده لمن صالحه منْ أعدائه، ولا يثقْ فيه كُلَّ الثقةِ.